مجلة الباحث – المدرسة العليا للأساتذة الشيخ العلامة مبارك بن محمد إبراهيمي الميلي الجزائري – بوزريعة – الجزائر

المجلد: (18)	العدد: (03)	السنة: 2026	صفحات المقال: 563–582	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

السّرد المضاد وتدجيل العقل المادي،
قراءة في رواية "جلالته الأب الأعظم" لحبيب مونسي

THE COUNTER-NARRATIVE AND THE DOMESTICATION OF THE MATERIAL MIND, READ IN THE NOVEL "HIS MAJESTY THE GREAT FATHER" BY HABIB MUNSI

مليكة بوجفجوف

مخبر البحث في الدراسات الأدبية واللغوية والتعليمية والترجمة، جامعة محمد الصديق بن يحي، جيجل، الجزائر

malika.boudjefdjouf@univ-jijel.dz

تاريخ الإرسال: 2025/04/24 تاريخ القبول: 2026/06/30 تاريخ النشر: 2026/09/30

ملخص:

إذا كان " أدب مابعد الكلونيالية" هو "أدب يجاري ويكافؤ ويناظر ما يحدث في فضاء أكبر هو فضـــاء العولمـــة، وأدب كاشف للمآزق المعاصرة، وناقد في مقصده الخفي"، فإن رواية الكاتب والناقد والروائي الجزائري "حبيب مونســـي"، الموســـومة "جلالته الأب الأعظم: الخطر الاتي من المستقبل" تندرج ضمن هذا السياق الفاضح والناقد لما آل إليه الراهن العالمي، الذي انجـــر وراء الآلة، وسار نحو الانحدار بفعل هيمنة العقل الغربي بماديته المتغطرسة!

وهكذا يعتزم هذه المقال كشف تلك الحوارية والمكاشفة التي تعقدها الرواية مع هذا الراهن، وأيضا ذلك السرد المضـــاد، الذي يبرز كنوع من المقاومة الثقافية ، توجهها الرواية نحو "سرود- مركزية- غربية"، تكرس لنوع مـــن الهيمنـــة الجديـــدة، أو الامبريالية الناعمة؛ كما هو الحال في رواية "شفرة دافينشي" للكاتب اليهودي "دان براون"، باعتبارها تروج للطرح والحل الماسوني.

الكلمات المفتاحية:

حبيب مونسي، جلالته الأب الأعظم، السرد المضاد، السرد ما بعد الكولونيالي، المقاومة الثقافية.

Abstract:

If "post-Clonelian literature" is "literature that matches, rewards and corresponds to what happens in a larger space is the space of globalization, a literature that reveals contemporary predicaments, and a critic of its hidden intent," then the Algerian writer, critic and novelist Habib Muncy's novel, tagged "His Majesty the Great Father: The dangers from the future "fall within this scandalous and critical context of what the global present, dragged behind the machine, has come down by the hegemony of the Western mind with its arrogant materialism!

And so this intervention intends to reveal that dialogue and disclosure that the novel has with this present, That counter-narrative, which emerges as a kind of cultural resistance, is directed by the novel towards "central-western narratives," devoted to a kind of neo-domination, or soft imperialism; As in the novel "Da Vinci Code" by the Jewish writer "Dan Brown," as it promotes the Masonic proposition and solution

Keywords:

Counter Narrative; Cultural Resistance; Habib Munsi; His Majesty The Great Father; Postcolonial Narrative.

المجلد: (18) | العدد: (03) | السنة: 2026 | صفحات المقال: 563–582 | ISSN :9577 - 1112 | EISSN : 2602 -5388

1.مقدمة:

تسعى الدّراسات الثقافية المعاصرة إلى الكشف عن الوجه المغاير والمتعدّد والمتشابك للخطابات؛ باعتبارها ممارسة متجذّرة في التاريخ والمجتمع والثقافة، تكشف التباس الحاضر بالماضي، وسعيه الحثيث إلى امتلاك المستقبل والسيطرة عليه، ممَّا يجعلها (الخطابات) تنخرط في سياق فعالية جديدة، نحو إرساء قواعد أخرى لآليات الهيمنة و/ المقاومة للفعل و/ ردّ الفعل، لإخضاع و/ الرفض.

والخطاب الأدبي عمومًا- والرّوائي على وجه الخصوص- لا يحيد عن هذا المسار، فالرّواية –باعتبارها منجزا سرديا و/ ثقافيا- كانت ولا تزال الفضاء الرّحب لصياغة كلّ الحكايا، ولتعزيز بعض السّرود و/ الثقافات و/ الكينونات، وتهميش أخرى.

انطلاقا من هذا الوعي بخطورة النّص الرّوائي، القادر على استقطاب ودمج مختلف الخطابات، وإعادة صياغتها في بنية تفاعلية (وليست أبدا مغلقة)، تقوم على «تفاعلات نصية (text interaction)، يشكّل بها النّص [الروائي] عالمه المنسوخ من جمالية التعدّد والتداخل»[1]، فإنَّ أيّ مقاربة، تستهدف تشريح الجسد الرّوائي، لابدّ وأن تأخذ بعين الاعتبار هذه الأبعاد جميعها.

إنَّ رواية "جلالته الأب الأعظم: الخطر الآتي من المستقبل"، للروائي والكاتب والأكاديمي الجزائري "حبيب مونسي"، هي رواية تنفتح على فضاءات متعدّدة للوعي، تستحضر التاريخ والثقافة بمستوياتهما الفردية والجماعية، وتنخرط في الحاضر بمآزقه وأسئلته المأزومة، لتُحِيك قراءة استشرافية للمستقبل، تتفاعل وتتقاطع أو تتعارض مع قراءات أخرى، تجلّت في نصوص روائية أخرى، أنشأها "الآخر"، لذلك فهي تؤسّس لقراءة، تنطلق من خصوصيات "الذات" لتحاور، وتحاجج، وتقيّم وتعدّل، طروحات "الآخر"حول "المصير" باعتباره "لحظة مشتركة".

وهكذا تتَغيَّا هذه المداخلة معاينة الرؤية المختلفة التي تقدّمها الرّواية لـــ "الذات" و"الآخر"، وكيف تستحوذ "الذات" على "آليات الآخر" في التّفكيك والهدم والبناء، لتؤسّس لنوع من "السّرد المضاد"، والمقاومة الثقافية، للمحاولات المستمرة "للإخضاع" و"الهيمنة"؟

2. رواية "جلالته الأب الأعظم " لحبيب مونسي، وتفكيك شفرة "الإمبريالية الجديدة"

تقدّم رواية "جلالته الأب الأعظم، الخطر القادم من المستقبل" نفسها بوصفها رواية "خيال علمي"، تصوّر إحباط وانهزام الإنسان المعاصر، بعدما أدرك خسارته لنفسه، أمام انسياقه وانصياعه لمغْرَيات الحضارة المادية المعاصرة، واستغراقه في النّهل منها حدَّ الضياع !...إلى الحدِّ الذي أصبح يرى فيه نفسه مجرّد آلة؛ لا فرق بينه وبين أيّة آلة أخرى أبدعها بعقله؛ لتكون في خدمته، وخدمة أطماعه التي لا تنتهي !...بل أصبح هو الآخر

عبدًا لتلك الآلة التي ابتدعها، وعبدًا للآلة "الحيوانية" التي تسكنه؛ وهي "الغريزة" بمتمثلاتها العديدة...وهو ما جعله يستشعر نهايته القريبة !

وقد ترجمت الرّواية هذه الأفكار، من خلال استلهام نمط "الكتابة الذاتية" أو "التخييل الذاتي" في شكل اعترافات أو "مذكرات" حررتها مجموعة من الشخصيات الفاعلة في المجتمع العالمي، وهي "اعترافات" شكّلت عتبة الولوج إلى عالم الرّواية، واستشراف "الخطر الآتي من المستقبل".

نستدلّ على ذلك بهذه الاقتباسات المستلّة من الرواية:

–«أنا الدكتور باركلي مدير المخبر السري للأسلحة الإستراتيجية، أكتب هذه الأسطر قبل أن أنهي علاقتي بالحياة (...) كيف لا أتخلص من هذه الحياة، وقد صارت جحيما لا يطاق (...) فينطلق المخلوق بعدها انطلاق آلات الدمار، لا يفرّق بين ما ينفعه وما يضرّه. هذا الضيق، وتلك الأحمال، وذلك الضياع، هي السمات التي تطبع كلّ يوم من أيامنا، فترسم عليه صور الغثيان والهذيان....صور الفجور والنّفور...صور الندم والعدم...».[2]

كتب الديبلوماسي فلادمير.ش. كياف، الأحد. ديسمبر 2018 «إنّها آخر صفحة من صفحات السّجل الذي أدوّن فيه مذكراتي بدقّة متناهية (...) لقد عملت في الحقل الديبلوماسي مدة تزيد عن العشرين سنة (....) أجوب عواصم الدّول لألعب لعبة واحدة، يسمونها السياسة (...) لعبة الخداع والمخادعة، تنتهي دائما بدمار الضعيف، وخراب ملكه، واغتناء القوي واتّساع سلطته، وتنبني اللّعبة على قاعدة واحدة أساسها الكذب، وسيفها الإغراء والدّعاية...».[3]

ثم يضيف: «أعود بعد كل مهمة لأسجّل على دفتر الحكومة السّري: (مهمة ناجحة وأقضي ليلة حمراء في قصر الملذات، المعدّ خصيصا للناجحين في لعبة القط والفأر، حتى أذوق ثمار الخطيئة والجريمة مدسوسة في غلاف التشريفات، يقف فيها الجنس والخمر وقفة شيطانية (...) تندفع فيه النّفس اندفاعها الحيواني في كلّ مرة، لا تبالي القيم...».[4]

كتبت البروفيسورة هيلني د. أسلو الخميس. مارس: 2020. «لقد واجهتني خادمتي الآلية (أولقا) صباح هذا اليوم بعبارة أطارت نفسي شعاعا، وأسكنت الرّعب في أعماقي...قالت (أولقا):

أنت لست إنسانة، أنت مثلي في كلّ شيء، لا تختلفي عنّي إلاّ في مادة التركيب...ولست وحدك، بل هناك العشرات ممن شاهدتهم، الأشكال آدمية، والتركيب تركيب آلي. وقد قارنت بين الإنسان والحيوان، ولدهشتي وجدت هذا الأخير أصدق منكم عنصرا، وأصفى نفسا، وأقرب إلى الفطرة.

احترت أمام هذه الحقيقة المرة التي طالما استوقفتني في خلوتي، وأنا أحاول أن أنظر من خلال دراستي إلى مصير البشرية التي تتزلق في جنون نحو الهلاك والدمار».[5]

المجلد: (18)	العدد: (03)	السنة: 2026	صفحات المقال: 563–582	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

«وإذا بالتقدم التكنولوجي الأعمى، لعنة عمياء تَرفُّ بأجنحة الغراب على البشرية الحائرة...».[6] هذه الحقائق والهواجس دفعت هذه الشخصيات وأخرى إلى الانتحار !

نشير هنا إلى أن الحديث عن «بداية الإنسان ونهاية البشرية قد شكل موضوعه أثيرة في "أدب الخيال العلمي"، فالآثار السلبية –وحتى الإيجابية– للثورة الصناعية الأولى والثانية، ومخلّفات الحربين العالميتين، الحملات الاستعمارية الكولونيالية، السّباق العالمي نحو التسلّح، خطر المفاعلات النووية وما سببته من كوارث بسبب بعض التسرّبات الطفيفة هنا أو هناك، فكيف والحرب العالمية النووية أصبحت شبحًا يهدّد مستقبلنا القريب، وينذر بقرب الكارثة ! أو كما جاء في الرّواية: «الخوف من الحروب النووية...الخوف من الآلات الجهنمية التي أصبحت تسيطر على حياة الإنسان وتستعبده، لقد دخلت فكره وبيته، وسدّت في وجهه المسالك نحو الإنسانية–الخوف من الخطر الذي يأتي من الخارج– من الكون !».[7]

كلّ هذا سجّل حضوره في "أدب الخيال العلمي"، ووسَمَه بنظرة سوداوية إلى عالم المستقبل، عالم "الديستوبيا" كما ارتسم في تلك النّصوص. يقول الباحث "محمد عبد الله الياسين": «ولما كان كتاب الخيال العلمي من أكثر المبدعين التفاتا لهموم البشرية، فقد أثارت تلك الحوادث وغيرها قلقهم وأقلامهم، فقدموا بخصوصية النص كخطاب لغوي جمالي، وعيًا بالسّياق الثقافي الواسع الذي يتحقق فيه».[8]

فمن خلال الاستشهادات السالفة، تبدو الرّواية وكأنها "إدانة" للحضارة المادية، وكشف لمدنيتها وغطرستها الزائفة، وهشاشة ذلك الإنسان "الآخر" الغربي، الذي ظلّ لعقود بل لقرون من الزمن يتباهى بحضارته وتفوّقه، بل ونصّب نفسه رسولا مبشِّرا بها، وحاميا لها مهيمنا ومسيطرا، يغزو ويفتح تلك الأقاليم التي ما تزال –حسبه– تتخبّط في ظلمات الجهل والبدائية المتوحشة «شعوب متخلفة منحطة، غير متحضرة، وقاصرة عقليا، يعاينون ضمن إطار تألّف من الحتمية الحيوية (البيولوجية) والتأنيب الأخلاقي–السياسي»[9] ، وبالتالي يحقّ له أن يصوغ تلك القوانين التي تقضي بأنَّ «أقاليم الأرض المدعوة "غير متحضرة" (...) ينبغي أن تلحق أو تحتلّ من قبل القوى المتقدمة».[10]

هذه الافتراءات التي صاغها العقل الغربي المتحيّز، ومكّن لها في وعيه وثقافته، ف«صارت بعد استعمال طويل تبدو صلبة، شرائعية وملزمة لشعب ما: الحقائق ايهامات نسيَّ المرء أنّها كذلك».[11]

وتجري الرّواية عملية استنطاق لهذا الآخر، فنجده يلحق الأوصاف التي أسندت سابقا لتلك الشّعوب المتخلّفة، إلى مدينته الموبوءة. يقول الديبلوماسي "فلادمير.ش. كياف":«...وكأن المدينة المزدحمة حظيرة حيوانية تعددت أصنافها، واختلطت أنواعها...».[12].

المجلد: (18) | العدد: (03) | السنة: 2026 | صفحات المقال: 563–582 | ISSN :9577 - 1112 | EISSN : 2602 -5388

وتقول "البروفيسورة هيليني"أسلو": «....وكأن اجتماعنا بهذه الصورة اجتماعا حيوانيا، يأكل فيه القوي الضعيف، أو يستخدمه لرغباته المشروعة والمحرمة (...) ويغدو الباعث الوحيد هو باعث البطن، والجنس، بما يتبعهما من شذوذ وإسراف، تنعكس آثاره على النّفس والجسد...وكنت رغم دراستي لا أستحي من إتيان هذا وذاك من موارد اللهو والمجون التي تفرضها عليّ المدينة المجنونة...».[13]

أمّا الطالب "يونغ" من طوكيو فيؤكد: «أرى على الوجود رسم الحضارة، أراه في عمق هذه العيون (...) خيبة الأمل، وظلمة الضياع والحيرة».[14]

لكن ما علاقة الأبوّة أو "جلالته الأب الأعظم" بكلّ ذلك؟

إنّ الأبوة في ثقافتها الإسلامية هي احتواء ورعاية لكنّها في الثقافة الغربية وجهازها المفاهيمي "مؤسسة امبريالية"، أو ما يطلق عليه عندهم بـــ "البطريركية" **(Patriarchy)** ، والتي تعني في اليونانية القديمة "حكم الأب" أو "نظام حكم أبوي يتمثل في سيطرة رجل كبير السّن يكون بمثابة الأب لبقية أفراد القبيلة (...) بمجيء السبعينات من القرن العشرين أخذ مصطلح الأبوية في الشّيوع في الدراسات النسوية ومن خلالها، ولعب المصطلح في ذلك الحقل دورا مركزيا في سعي أهل ذلك الحقل تتبع السيطرة الذكورة في المجتمعات الإنسانية بوصف تلك السيطرة مصدرًا للكبت المفروض على الأنثى».[15] وبارتباط عبارة "جلالته الأب الأعظم" بجملة "الخطر الآتي من المستقبل" تكون الدلالة الثانية هي المرشحة للنظر.

يكتب الطّيار ميرزا (طهران)، وهو أحد الشخصيات التي دونت اعترافا يسكنه قلق الحاضر، و"رهاب" الآتي: «وفي هذه الآونة سمعت بخبر عجيب...لقد ظهر الرّجل المعجزة...الرّجل الذي يحدث الانقلاب المرتجى...الرّجل الذي يخلص البشرية مما هي فيه...تطايرت الأخبار إليّ وأنا في حيرتي وشرودي أطالع مقالات والدي (...) فإذا بالرّجل المعجزة يطل من أرض فارس حاملاً راية الصّلاح، يهدي الأمم الضائعة بفيض من العلم غزير وحكمة بالغة، تمزج بين التطور التكنولوجي، والهدف الأسمى للإنسانية، فتنقلب الآلة في يده خادمة مطيعة لا ترهق الإنسان، بل تسعفه إسعاف الممرضة الحنون (...) هكذا سمعت....وحكمته التي شملت كل شيء ترى رأيًا بعيدا يجعل من الشتات حكمة، ومن التفرّق وحدة، ومن التنازع ألفة، ومن الحيرة يقينا، ومن الضياع وجودًا إيجابيا يعمر الكون... .[16]

ولقد «تحدث للجيل حديثا ينطق به القلب أن يتلّفظ به اللّسان، وكأنّه يتنزّل على القلوب وحيًا صافيًا، لا تخالطه رغبة من رغبات الإنس المكبوتة، ولا تداخله إرادة شريرة من إرادة أهل الباطل».[17]

«فقد حدث للمرة الأخيرة أن جاءهم الذي يصل إلى أعماقهم التي يجهلونها وصولاً مباشرا، لا يحتاج إلى واسطة أو زلفة، بل يذكر اسمه فتنفرج الصدور (...) وكأنّ كل واحد منهم يشرّح نفسه بيده، فيترع عنها رواسب كلّ شيء.. كل شيء..

المجلد: (18)	العدد: (03)	السنة: 2026	صفحات المقال: 563–582	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

يتجرّد من ذاته...من موروثه... فينسى كل شيء طوته الضمائر والنّفوس فلا يبقي فيها سوى الرّجل المعجزة يصنع بها ما يشاء...».[18]

لماذا يريد الرّجل المعجزة أن يمتلك تلك النّفوس وقد جاء يحرّرها؟ ! ...ثم ما الحاجة لأن يتجرّد الإنسان من ذاته، من موروثه، من هويته؟ فداء الرجل المعجزة: «تعالوا نحكم القيود المفروضة علينا باسم الإيديولوجيات، باسم الديانات، والجنسيات (...) نقلب كراسي الحكم في كلّ مكان، ونكسر أعوادها حكاما ومحكومين، ثم نحرقها في النّار المقدّسة التي ستظهر في كلّ مكان لتلتهم ركام الحضارات والثقافات والافتراءات...نحرق كتبنا كلّها...نحرق عاداتنا كلّها...».[19]

هل يكون للإنسان حاضر إن لم يكن له ماضٍ؟ ! وهل سيستقيم للإنسان أمر إن لم يكن له نهج رباني يسير عليه؟ ! كيف والرّجل المعجزة يدعو إلى حرق كل الدّيانات والثقافات والعادات «لنولد من جديد كما ولد آدم طيّب العنصر، صافي العجينة...».[20]

«ولماذا جعل السّارد الرّجل المعجزة"، رجلا قصير القامة، ذميم الخلقة، أعور...، يطلع على الناس من أرض فارس».[21]

ولماذا عبرت إحدى شخصيات الرّواية –قبل أن يمسّها سحر الرّجل المعجزة– قائلة: «إنّها لعنة ....إنا لمسحورون (...) لما لا...وقد انقاد النّاس إلى أصوات ساحرة تنبعث من كلّ مكان، تدعوهم فينقلبون كالدّوان».[22]

إنّ التمثيل الذي تصوغه الرّواية للرجل المعجزة –في بداياتها على الأقل– يعيد إلى أذهاننا صورة "المسيح الدجال" في ثقافتنا الإسلامية، وكما حدّدتها لنا نصوص الحديث النبوي الشريف. فعن أبي بكر الصّديق رضي الله عنه قال:حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «الدّجال يخرج من أرض بالمشرق يقال لها خُرَاسَان».[23]

وفي حديث آخر عن عبادة بن الصّامت –رضي الله عنه–: «قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: ((إنّي قد حدّثتكم عن الدّجال حتى خشيت أن لا تعقلوا، إنّ مسيح الدّجال رجل قصير أفْحجُ، جَعْدٌ أَعْوَرُ مطموس العين، ليس بناتئة ولا حجْرَاءْ فإنْ أُلْبِسَ عَلَيْكُمْ فاعلموا أن ربّكُم ليس بأعور))».[24]

ولكن تتبع مسارات الحكي، ومحاولة الإمساك بجميع الماحاته، يثبت أنّ المسيح الدّجال يحضر في الرّواية حضورا رمزيا، "المسيح الدجال"، كفكرة تومئ إلى الفتنة الواقعية. إن أبوة الرجل الأعظم هي أبوة مصطنعة، إنها رمز الفكرة المضللة، والدّعاية المغرضة، التي تستهدف مصادرة العقول والهيمنة عليها وهذه الهيمنة تمر بمرحلتين:

المرحلة الأولى: ضرب الفكرة و/ الرؤية القائمة، وتشويه صورتها، حتى يتحول الإيمان بها في وعي أصحابها إلى نبذٍ وكفرٍ.

المجلد: (18)	العدد: (03)	السنة: 2026	صفحات المقال: 563–582	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

المرحلة الثانية: مرحلة الاستبدال بفكرة و/ رؤية مغايرة، بعد أن تمّ التسويق لها بشتى أنواع الدّعاية والإشهار؛ بمعنى تقبيح السائد والموجود، وتجميل البديل المحتمل.

إنّ كل مشروع إمبريالي ينطلق من فكرة، وهذه الفكرة لكي تتحقق لابدّ أن تزيح من طريقها كلّ الأفكار السّائدة، وفعل الهدم يطال الفكرة وكلّ مؤسساتها السياسية والاجتماعية، والدينية والثقافية أيضا، وهو ما أطلقت عليه الرّواية مسمى "التطهير" يقول "جلالته الأب الأعظم" «أنتم تعلمون الجهود التي بدلناها لبلوغ هذا المجد، فقد عولنا على التطهير: تطهير الدنيا من ماضيها الأسود، وغيّرنا أنظمتها تغييرا جذريا...وكما لا يخفى عنكم فقد ساهمنا عن قرب وبعد في خلق الظروف التي خدمتنا ومكنتنا من الوصول إلى ما نحن فيه الآن، نشرنا أعواننا قبل التطهير في كل قطر من الأقطار (...) ولم نتورع من إشعال الفتن والحروب في كلّ مكان، بل جعلنا من الأمر التافه قضية ثأر ودم...فأكلت الشعوب بعضها بعضا في سلاسل من الفتن والحروب (...) هذه الأزمات الفكرية والنّفسية والمالية والطّائفية هي السّلاح الفعّال الذي ابتكرناه، واتقنّا كيفيات استعماله، بل وضعنا له القواعد والمذاهب والنّظريات، وقدّمناه لغيرنا...».[25]

ثم يضيف: «والشعوب لا يمكن أن تستقرّ على حال في مثل هذه الظروف، وكان لابدّ من توجيه الرّأي العام فيها نحو مسار سيطرتنا (...) فأرسلنا الصحافة والأقلام، والإذاعات، في حركة متناقضة، لا تزيد من يقين الشعوب، بل تدخل بها في دوامة الشكّ والتكذيب، حتى غدا قارئ الجرائد، وسامع النشرات لا يصدّق كلمة واحدة مما يسمع أو يقرأ...ومنه كانت نتيجة تكذيب خطابات السّلطات الحاكمة».[26]

«قلنا لهم تخلصوا من الماضي...تخلصوا مما له صلة السلاسل التي تكبلكم-أحرقوا الكتب...أقتلوا الدراويش الذين احتكروا لأنفسهم صحبة الخالق....وها نحن في أعينهم أرفع من تلك الصورة التي رسموها لأربابهم في أذهانهم....لأنّنا نشير الإشارة الخفيفة فينال الرّاغب رغبته دون أن يتلفّظ به...إنهم يريدون ربّا من هذا الطّراز...وقد قدّمنا إليهم الرّب المطلوب».[27]

فظاهر هذه الأبوة كما جاء في الصفحات الأولى رحمة وخلاص، وباطنها فتنة قاتلة تقوم على المكر والخداع وتزييف الحقيقة، إنّها شكل من أشكال "الإمبريالية النّاعمة"، ظاهرها جميل مجمّل، يقوم «على الإقناع وليس الإكراه، وتتمثل أدواتها في القيم السياسية والثقافية، والقدرات الإعلامية».[28] قد تبدو بهذه الصورة نوعًا من "الاستيلاب"، لكنها في الرّواية تتخذ من "التطهير" منهجًا، وأسلوبًا قد لا يتوانى في استخدام "القوة الصلبة"»[29] لتحقيق أهدافه. غير أن أدوات هذه الأخيرة مختلفة عمّا هو متعارف عليه في حاضرنا المعاش، وإن كنّا نسمع عنها بعض الأصداء كالبرمجة العصبية، واستخدام أسلحة إشعاعية الكترونية، تأثيرها قد لا يكون الموت بالضرورة، ولكنه السحر الذي يجعل العقول المتمردة آلات طيّعة منصاعة، تفعل ما تؤمر به دون ثوانٍ أو تفكير في العواقب !

المجلد: (18)	العدد: (03)	السنة: 2026	صفحات المقال: 563–582	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

وهذه الإمبريالية الجديدة هي "الدولة العالمية" التي ورد ذكرها كثيرا في الرواية، بوصفها دولة "جلالته" والمجلس السرّي الذي يوجهه ويدعمه»(*)، فنجد السّارد يسير إليهما معًا في حديثه عن جلالته الأب الأعظم، الذي جعله السارد يتمنى « لو أنه لم يدخل الأمر العظيم (...) لو أنه ظل رجلا عاديا وسط المجمع السرّي الذي تأسّس لتفجير التأزم العالمي، وإحلال الدولة العالمية المقدّسة على أنقاضه».[30]

وهذه الإشارات تؤكّد من وجهة أخرى انخراط الرّواية في قراءة الراهن العالمي، وإحاطتها بمختلف المفاهيم والتصوّرات التي تؤثثه[31] على المستويين السياسي والثقافي وحتى التاريخي كما سيتضح لاحقًا.

3. آليات السّرد المضاد والمقاومة الثقافية في رواية "جلالته الأب الأعظم"

1.3.في مفهوم السّرد المضاد:

يعدّ هذا المفهوم من مفرزات النّظرية ما بعد الكولونيالية في الأدب والنّقد، حيث ارتبط بآداب الشّعوب التي خضعت في مرحلة من مراحلها للهيمنة الإمبريالية (فمصطلح "ما بعد الكولونيالية" يشمل «كلّ ثقافة تأثرت بالعملية الإمبريالية منذ اللحظة الكولونيالية حتى يومنا الحالي»[32])، تلك الشعوب التي صادرت القوة الإمبريالية حقها في التعبير عن ذاتها، وتمثيل نفسها بنفسها، بل نفت عنها قدرتها على الفعل والكتابة، باعتبار الكتابة هي فعل "حضاري و/ ثقافي"، وتلك الشعوب، في التصوّر الذي صاغه الخطاب الكولونيالي حولها، تفتقر لكلّ مقومات الفعل الحضاري والثقافي المنتج، و«الغرب [المسْتعمِرْ] يقف من الشّرق [المُستَعْمَرْ] موقف الوصي على القاصر، فهو يراه عاجزًا على أن يحكم نفسه بنفسه، والأدهى أن يراه عاجزًا على أن يمثّل نفسه/ أو يتحدث عن نفسه بنفسه، وذلك لقصوره العقلي، ودونية عرقه.» [33]

وهو ما أنتج «فكرة مركزية الغرب، وهامشية الشرق، وهي ثنائية أقنع الغرب بها نفسه بعد أن "صنع" غريمه بصورة مناقضة له تؤهّله إلى أن يكون في مرتبة دنيا»[34] فاستحوذ على كلّ الممارسات والخطابات الثقافية التمثيلية، وأنشأ سرودا متمركزة حول هذا التصوّر الكولونيالي، مهمتها الترويج والتسويق له ليس في مجتمع المركز الكولونيالي فحسب، بل حتى داخل مجتمعات الهامش التي أخضعت للهيمنة العسكرية الكولونيالية، ولمحاولات والتقويض الهويّاتي، والهيمنة الثقافية، وهو ما جعل تلك الشعوب– وبعد أن تفككت البنية الإمبريالية من الزاوية السياسية، بحاجة لأن تردّ بكتاباتها على المركز[35]. فالسّرد المضاد إذن هو مصطلح يشار به إلى تلك السّرود التي أنشأها الهامش في المرحلة ما بعد الكولونيالية والتي تتبنّى «رؤية لا تتطابق أو تتساوق مع الرؤية الكولونيالية أو الاستشراقية السائدة، والقارة في دوائر سجلات محفوظات الغرب، فهو «أي ذلك السّرد–جزء من العملية النقدية الكبرى التي تفكك علاقات المركز–الأطراف»[36].

المجلد: (18)	العدد: (03)	السنة: 2026	صفحات المقال: 563–582	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

«سرد مغاير يقوم بتفكيك تلك المركزية في الوقت الذي يؤكّد فيه اختلافه (...) [وأيضا] بخلخلة وتقويض المنطق الكولونيالي الذي يصرّح بأن الآخر غير قادر على تمثيل نفسه كونه عاجزًا وكسولا وناقص أو من مرتبة أدنى، ولذا يجب تمثيله...إن ذلك المنطق يجري تعريته وكشف هشاشة أسسه، من خلال السّرد الآخر/ المغاير، أن نحكي الحكاية بطريق أخرى ...بمنظور آخر...بمسار جديد».[37]

ويتكئ مصطلح السّرد المضاد على مصطلح "الخطاب المضاد" الذي صاغه "ريتشارد تيرديمان" «ليصف نظرية المقاومة الرمزية وتطبيقها، ويتناول "تيرديمان" بالبحث وسائل يتمخض عنها تغييرا أصلا ضدّ مقدرة الخطابات الوطيدة على تجاهل أو امتصاص التقويض المأمول عن طريق تحليل الكتابات الفرنسية في القرن التاسع عشر، وقد حدّد المواجهة بين الواقع المؤسّس وتقويضه».[38]

أي أنّ اشتغال "تيرديمان" كان في الأدب الفرنسي وفقط، ثم تبنّى نقاد ما بعد الكولونيالية المصطلح «الوصف ال.....المتواشجة التي يمكن من خلالها توجيه الطعون من موضع الهامش (peripheral) ضد خطاب سائر أو راسخ (وعلى الخصوص تلك الخطابات التي تخصّ المركز الإمبريالي) (...) ضدّ نصوص معينة (...) ضدّ الإيديولوجيات الإمبريالية المترسّخة في الذهن».[39]

فالسّرد المضاد إذن يعمل على تقويض تلك الخطابات، ومقاومة السّرد الإمبريالية الموجهة في نزعتها "الشوفينية" المتضخمة، ويلغي فرصة «أن السرد فعالية لشاهد قادر أوحد على تجسيد ما حدث ويحدث في إطار حكائي مسيطر عليه سياسيا».[40]

فكيف تجلّى "السّرد المضاد" في الرّواية موضوع الدّراسة؟ وما هي آلياته؟

2.3.تجليات السّرد المضاد والمقاومة الثقافية:

من خلال ما تمّ تقديمه أثناء محاولة مقاربة مفهوم يمكن أن نخلص إلى نتيجة مفادها أن هذا الأخير هو: مقاومة لكلّ أشكال الهيمنة وخاصة الثقافية منها؛ ذلك أن الأمم – على حدّ تعبير أحد النقاد- وكما يشير إلى ذلك "إدوارد سعيد" هي: «ذاتها سرديات ومرويات، وإنّ القوّة على ممارسة السّرد، أو على منع سرديات أخرى من أن تتكوّن وتبزغ، لكبيرة الأهمية بالنسبة للثقافة، وللإمبريالية».[41]

من هذا المنطلق، يمكن النّظر إلى رواية "جلالته الأب الأعظم" لـــ "حبيب مونسي" باعتبارها رواية تشتغل على نسق "الهيمنة و/ المقاومة"، لتعيد صياغة العلاقة بين "«الذات و/ الآخر"، و"تحريرها من شرك الفرضيات التي يتحكم بها هاجس توكيد التفوّق الغربي».[42] فالحضارة الغربية تحضر في الرواية مدانة على لسان أهلها، كما تمّ عرضه في الصفحات الأولى في هذا البحث، واستئثار "الآخر" بأحقية السّرد والتمثيل يغدو مطعونًا فيه أيضا، باعتبار أنّ "الآخر" في رواية "جلالته الأبد الأعظم" هو نفسه موضوع "التمثيل".

يقدّم مؤلفو كتاب "دليل الناقد الأدبي" تعريفا للآخر ينص على ما يلي: «الآخر في أبسط صوره هو مثيل أو نقيض "الذات" أو "الأنا" (...) أنه "تصنيف" استبعادي يقتضي إقصاء كل ما ينتمي إلى نظام فرد أو جماعة أو مؤسسة (...) ولعل سمة الآخر المائزة هي تجسيده ليس فقط كلّ ما هو غريب "غير مألوف" أو ما هو "غيري" بالنسبة للذات أو الثقافة ككلّ، بل أيضا كلّ ما يهدد الوحدة والصّفاء».[43]

إنّ ذكر ما يضمننا في هذا التحديد –وانطلاقا من معاينة المتن الرّوائي موضوع الدراسة–، هو آخر جملة من النص: كلّ ما يهدد الوحدة والصّفاء، لأنه يجعلنا نستذكر ونستحضر مباشرة عنوان الرواية: "جلالته الأب الأعظم: الخطر الآتي من المستقبل"، حيث يشير هذا العنوان بأنّ جلالته الأب الأعظم هو الخطر الذي يهدد "كينونة الذات" ومستقبلها بغضّ النظر عن كون الذات هنا متعينا "فرديا" أو "جمعيا".

1.2.3.صورة الآخر في رواية "جلالته الأب الأعظم":

«إنّ التمثيل يعدّ من المفاصل الأساسية التي يقوم عليها بناء الحبكات في السّرد الرّوائي، ذلك أن كل تمثيل سردي لابدّ وأن يستند إلى ثلاثة ركائز ودعامات أساسية: أولا الحوادث التي تنتجها الشخصيات...وثانيا الأزمنة المتعلّقة بتلك الحوادث، وثالثا الفضاءات التي تتحرّك فيه المحافل السّردية...».[44]

إنّ الحوادث التي تنتجها شخصية "جلالته الأب الأعظم" تتمركز حول ثلاثة أفعال رئيسية (كما تشير إلى ذلك الرواية): التطهير، إعادة الصياغة، والقولبة.[45]

يرتبط التطهير بالهدم والتقويض: «إذا عرفتهم الآن لماذا دمّرنا الكنائس والمساجد والمعابد، وحطمنا الأصنام والتماثيل والنّصب...»[46]، «ثم نحرقها في النار المقدسة التي ستظهر في كلّ مكان، لتلتهم ركام الحضارات والثقافات والافتراءات...».[47]

وكلمة الافتراءات تكشف عن الوجه الثاني لعملية التقويض، وتصلنا بالفعل الثاني "القولبة" من خلال عملية التشويه المسلّطة على الماضي والحاضر، وعلى كلّ القيم الإنسانية التي وجهت الإنسان وأمن لها في وقت من الأوقات: «أنظروا ماذا خبت الثقافات البائدة على أهلها... لقد ألقت بهم إلى الجحيم»[48]، وهكذا «بلغت كلماته [الأب الأعظم] مكامن القلوب فأشعلتها حماسة وثورة، حتى قتل الأخ أخاه، والابن أباه، وانفرط العقد...».[49]

أما إعادة الصياغة فقد مست كل شيء البشر (البرمجة) والنظم الاجتماعية والسياسية، ولعلّ أهمها على الإطلاق إعادة صياغة الدّين الجديد !...إن "جلالته" ليس ملحدا، لكن «نحن مؤمنون بجلالتنا وأبوّتنا العامة للناس أجمعين»[50]، كما جاء على لسانه، وكما أنّ بحثه في الديانات السابقة أفضت به إلى نتيجة مفادها أنّ كلّ الشرائع والمعتقدات ترتدّ في النهاية إلى معتقدين اثنين أو نقطتين كما جاء في الرّواية: «نقطة التوحيد والإيمان بالعالم الآخر، ونقطة الموت الذي ينتهي عنده كلّ شيء، وكانت الطائفة الأولى أكثر انتشارا من الثانية (...)

المجلد: (18) | العدد: (03) | السنة: 2026 | صفحات المقال: 563–582 | ISSN :9577 - 1112 | EISSN : 2602 -5388

ومن هذا الشطر كان لزاما علينا أن نصوغ الموضوع الجديد وفق هذا الاعتقاد حتى لا تنصدم به عقول الأغلبية التي مازالت تحتفظ بشيء من ديانتها (...) وخطتنا وراء ذلك هي توحيد الأبوة العظمى، وإقامة النعيم في الأرض لا في السماء» (!!!).[51]

العملية التي أفضت به إلى «إنشاء الكتاب المقدّس، وتثبيت نصه بعدما اقتبسناها من تراثنا القديم، وصقلناها لتناسب ما نحن مقدمون عليه الساعة» (كما جاء على لسانه).[52]

وتبدو علاقة "جلالته" بذلك التراث علاقة متوترة، فهو من جهته يعتمد عليه لصياغة صورة حاضره ومستقبله، بعد أن يحدث فيه بعض عمليات القولبة طبعًا، ومن جهة أخرى يتوجس منه خيفة، حينما ينذره بتكرار حوادث التاريخ القديم، وقد حملت إليه الأيام شيء عن الماضي السحيق، إنه الصبي الذي قال عنه: «سأستخلصه لنفسي»[53]، لكنه حين يسمع الاسم "موسى"، يقع «في نفسه موقع الصاعقة على الجذوع الهشة (...) وكأنّ كلّ حرف من حروفه يحمل لغزا من ألغاز التاريخ، وغيبا من رجوم المستقبل (...) وموسى بعد هذا وذاك يحتلّ في عقيدة الرجل المعجزة مكانة عظمى تخالطها بعض الأحيان ريبة غامضة...».[54]

فالزمن هنا متشابك، ينطلق من الحاضر ويغوص في الماضي السحيق، ليصوغ صورة متوتّرة للمستقبل، تتناقض تمامًا مع الرسم والمخطط الذي خطّه جلالته من خلال "دولته العالمية" التي لا تحدها الحدود، ولا يأتيها الباطل لا من بين يديها ولا من خلفها !!.

لكن موسى عربي «نعم...ليس يهوديا-إنّه عربي- موسى كان يهوديا من بيوتات اليهود أنفسهم- هذه هي المفارقة التي تمنع تكرّر الأحداث، وعودتها بنفس الحيثيات التي عاشتها الأيام السّوالف، لن يحدث شيء !».[55]

فالصورة العامة التي يمنحها التمثيل السّردي للآخر من خلال شخصية "الأب الأعظم" هي صورة ذلك "الكولونيالي" المتمركز حول ذاته، في غروره المتنامي والمستشري، حتى نصب نفسه إلها على البشرية، يحمل إليها الحضارة والتنوير، والخلاص، لكنّه في الأخير يعجز عن تخليص ذاته، كما يتضح من خلال الهواجس التي تنتابه بمجرّد سماعه بأن الفتى الذي استقدمه إلى قصره اسمه "موسى" ، وهنا تنكشف صورة «ذات الكولونيالي المسكونة بالتجاذب والانشطار والازدواج والاضطراب الخطابي والوجداني».[56]

أما التمثيل الفضائي، الذي انصبّ على رصد المظاهر العمرانية في "الدولية العالمية"، فمجلس جلالته «قاعة مثلثة الشكل تبدأ بقاعدة طويلة، يرتفع عليها جدار شفاف (...) وفي قلب القاعة طاولة مثلثة...»[57]، والقصر الملكي كذلك، تساءل الفتى عن العدد الذي يتردد في كل نظام حتى اتّخذ القصر الملكي شكل المثلث، بما فيه من قاعات وطاولات وزخارف، وكأن الشكل يرمز إلى شيء معيّن، ربما كانت الثلاثية فيه غارقة في

المجلد: (18)	العدد: (03)	السنة: 2026	صفحات المقال: 563–582	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

القدم(*)... »[58] «...أيقن موسى أنّ الأمر صار إلى أخطر مما كان يتصوّر، فتلهى بالمناظر من حوله، وقد سادتها الأشكال الهندسية الغريبة والتي جعلت من الثلاثي عنصر يتكرّر في كل تصميم وتشكيل....».[59]

بل إنّ كلّ مجلس من مجالس جلالته يضم (33) عضوا، و «مالت الرؤوس الثلاثة والثلاثون في رفق...»[60]، والدولة العالمية فسمت إلى «ثلاثة وثلاثين قطاعا»[61]، ويوضح رئيس الحكماء لجلالته قائلاك «...وانحصرت القيادة في أربعة أشخاص فقط من دائرة الثلاثة والثلاثين، حتى نجعل من هذا العدد شعارًا لنا ولأعمالنا...»[62]

وما قصة "المجلس الخفيّ" الذي تحدث عنه "جلالته في قوله: «فوراء المجالس العلنية هناك مجلس آخر لا يعمله أحد على وجه الأرض، وهو الذي يتولّى رعايتي شخصيا، وتوجيه مسيرتي...إلاّ أ،ه مجلس يعيش في الظّلام...».[63]

إنّ مطالعة أحداث الرواية، وتتبع إلماحاتها المتعددة، وكذا الاطلاع على بعض القراءات النقدية التي ساهمت في إضاءة مضمون الرواية(*)، وبعد العودة إلى رواية "شفرة دافنشي" للكتاب "دان براون" يتجلّى بوضوح التعالق النصي والتفاعل الخطابي بين الروايتين، وإن كان هذا التفاعل يقوم على المغايرة التي تصل إلى درجة التعارض، فتجعل من الرّواية الأولى "جلالته الأب الأعظم" تقف موقف "الردّ" على الرواية الثانية "شفرة دافنشي"، بل إنّ فكرة العنوان "جلالته الأب الأعظم"، تبدو مستوحاة من شخصية "المعلّم الأكبر" في رواية "شفرة دافنشي"، وهي الشخصية التي كانت تترأّس "أخوية سيون" (*)وهو التنظيم السري اليهودي، الذي تصوّره رواية "شفرة دافنشي" ملاحقا ومهددا من قبل تنظيم آخر، يرجح أنّه ذو مرجعية مسيحية كاثوليكية، والشكل المثلث والرقم ثلاثة يحضران كثيرا في رواية "دان براون" أيضا، هذه الرواية التي انطلقت بوصفها تحقيقا في مقتل شخصية "سونيير" (المعلم الأكبر)، لتتحول إلى مغامرة لغزية، لفك بعض الرموز والشفرات، وهي المناسبة التي استغلها السارد وكاتب الرواية، لتمرير بعض الأفكار، والتمكين لبعض الطروحات الفكرية التي تطعن في بعض المرجعيات (خاصة ما تعلّق منها بحقيقة المسيح والإنجيل، والنسخة المعدّلة من الإنجيل، أو نسخة العهد الجديد)، والتمكين لمرجعيات أخرى على خلفية هدم وتقويض الأولى ! وهو الموضوع الذي لا يتّسع المقام هنا للتفصيل فيه، لكن التدقيق فيما ورد في الرّواية من أفكار، يؤكّد ــكما يشير إلى ذلك كلّ من الباحثين "أبو يونس معروفي عمر الطيّب"، و "رحال عبد الواحد"ــ ترويج الرّواية للفكر الماسوني، حيث جعل "دان براون" «من الفكر الماسوني معتقدا يخدم الإنسانية، جمعاء، مبني على أسس علمية ترعى المعارف وتوطّد للعلم، واضعًا لرموزها جذورا ضاربة في عمق التاريخ البشري مازجًا بين المسيحية واليهودية، مبرزًا بذلك فضائل الماسونية وموظّفا إياها في البنية التبليغية العامة للرواية .[64]

المجلد: (18)	العدد: (03)	السنة: 2026	صفحات المقال: 563–582	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

وإذا كان "دان براون" اتّخذ من المقولة التي نسبتها الرواية لـــ "ليوناردو دافنشي"، ونصّها يقول: «كثيرون هم الذين اتخذوا من الأوهام والمعجزات الزائفة وخداع البشر تجارة لهم»[65]، أساسا يبني عليه هجومه المنصب على "الإنجيل" و"المسيحية"(*) لأجل إزاحتها من المركز الغربي وإحلال "اليهودية الماسونية" محلّها، فإنّ "حبيب مونسي" يستغل الفكرة ذاتها، ليكشف الطابع الإمبريالي لدولة "جلالته الأب الأعظم" ومن روائه للنشاط الماسوني في العالم اليوم.

وهكذا «تقيّم الرواية حوارا مع تعليمات ومبادئ الماسونية العالمية التي تدّعي الصّفاء الفطري، وترفض التاريخ والعقائد والعادات والقوانين، وتستدرج العالم إلى مستقبل مجهول، حيث "الدولة العالمية" التي تدعي تحرير العقل من أنواع الهيمنة».[66]

وما يميّز طرح "حبيب مونسي" في هذه الرواية، هو أنّه يؤسّسه ويقدّمه في إطار إنساني رحب (غير متوقع على ذاته)؛ لأنه يصوّر الفكر والنشاط الماسوني، غمامة سوداء تحاول أن تكتسح سماء البشرية، وتهدّد مستقبلها بأفكارها المضللة، وتخطيطاتها المرعبة ! وهكذا يتخذ السرد في هذه الرواية أبعادا تتعدى مجالات الإحالة على الفردي إلى الارتباط بالجمعي الكامن في صميم التجربة الإنسانية.[67]

غير أن ذلك لا ينفي أبدا وجود بعض المواطن من السّرد، التي يتجلّى فيها انحياز الكاتب (حبيب مونسي) إلى "ذاته" وإلى مرجعياته الثقافية والهوياتية.

ذلك أنّ العمل الأدبي «كلّ عمل أدبي في العالم هو جزء من ثقافة إنسانية ما (...) ولا يمكننا أن نضفي عليه معنى إلاّ ضمن تلك الثقافة»[68]، وهو الطرح الذي يقودنا إلى البعث في الملابسات التي تكتنف حضور »ا"لأنا" في رواية "جلالته الأب الأعظم".

2.2.3. صورة "الأنا" في الرّواية:

إنّ البحث في تجلّيات صورة "الأنا" في رواية "حبيب مونسي" يقودنا بالضرورة إلى البحث عن حضور الإنسان "العربي/المسلم" في الرواية، وعن الأبعاد الحافة بهذا الحضور، والارتباطات التي تقيّمها "الأنا" مع "الآخر" و"الأنا" مع "الذات" في فضاء الرؤية السردية و/ الثقافية للرواية.

وهكذا يمكن أن نرصد هذا الحضور وذاك التجلّي وفق بعدين اثنين:

أ. الأنا من منظور الآخر:

عملت الرواية على تكريس التكامل النمطي للآخر "المهيمن" مع "الأنا" العربي، بوصفه موضوعًا للتهميش والإقصاء، فالعرب في دولة جلالته يحتلّونه الطبقة الدنيا من طبقات الشعب (الطبقة الثلاثون): «نعم كانت تلك الديانة البائدة للعرب، الذين يشكّلون اليوم الطبقة الدنيا من النظام الاجتماعي الجديد...»[69]

«أتركوا الطبقة الأخيرة لتكون خادمه فحسب، لا تعرف شيئا عن العلم والتعلّم، فهم للأرض وإليها يعودون».[70]

فالتعليم في مملكة جلالته أصبح «يقتصر على الطبقة العليا وحدها، وعلى من تتوفر فيه سمة الذكاء»[71]،ويروي "عبد الجليل العربي" وهو أحد شخصيات الرّواية مأساته في ظلّ الدولة العالمية، يقول: «كنت أستاذا لعلوم الأحياء، وقد غادرت وطني للاشتغال في أوطان عدة، أتقلب بين عواصمها (...) أسكن غرف الفنادق الفخمة، وصالونات الدروس والمحاضرات، أقابل النخبة من كلّ أمة حتى شعرت بالدوار يوما واستيقظت في غرفة مستشفى، وقد جنّ جنون الدنيا...جمع الناس في محتشدات ضخمة، ثمّ قسّموا حسب انتمائهم إلى معسكرات، ونقلت إلى معسكر في أطراف الصحراء صحراء (...) وكأنها كوكب قاحل ميّت من كواكب المجرّة، وهنا وجدت نفسي وسط العرب...نعم العرب...نقف في طوابير لا نهاية لها، تحت شموس محرقة، وليال بردٍ مهلكة تنصبّ علينا لعنات الزبانية حينا بعد حين، حتى عشعش الخوف في الصّدور، وصار الموت أمنية غالبية لا ينالها إلاّ السعيد...».[72]

وهناك أحمد الجزائري مهندس الإلكترونيات، الذي نال درجة الأستاذية في الولايات المتحدة، ثم عاد إلى أرض الوطن، ليستقبل في أرض المطار[73]، وعيسى الأحمدي "خبير الأسلحة الإستراتيجية" و"خالد السوسني" الطبيب الجرّاح، وكلّهم عانوا الإقصاء والتهميش والاضطهاد، وغيرهم كثير وفق ما تشير إليه الرّواية.

بل إنّ "جلالته" يقرّر بأن سياسته في التعامل مع أفراد هذه الطبقة، هي سياسة مقصودة، بل هي نوع من الانتقام التاريخي لمعاناة اليهود وتفرّقهم في الأرض (وإن كان ذلك في واقع الأمر هو بما كسبت أيديهم): «حك جلالته ذقنه، وقال في نفسه: (إنّه التاريخ يعيد نفسه، وليس لنا دخل فيه أو تمويل، لقد عرفنا نحن الشتات والحرمان من قبل، وعلى هذه الطبقة أن تذوق منه قسطها، أليس ذلك من عدالة التاريخ؟...».[74]

ب. الأنا من منظور الذات:

يعمل المنظور الذاتي لشخصية العربي المسلم في الرّواية على مقاومة أفعال الإخضاع والسّلب والتهميش الذي يفرضها الآخر عليها، فالسّارد ومن ورائه الرّوائي "حبيب مونسي" يجعل من هذا العربي إنسانا فائق الذكاء، يجابه ويباري العقول الإلكترونية، التي أبدعها الإنسان في ظلّ الدولة العالمية، لها مقدرة عالية على التعلم والتفوّق (شخصية موسى صفي جلالته الذي أضحى عدوه والخطر الذي يهدّد دولته وملكه).[75]

وهو المنظور الذي تؤكّده باقي الشخصيات (أحمد المهندس، عبد الجليل أستاذ علم الأحياء، عيسى خبير الأسلحة، وخالد الطبيب الجرّاح)، ولها القابلية للثورة والانقلاب والتأسيس للفعل المضاد في أي لحظة، وهو الفعل الذي تكرّس في مشروع "البعث" الذي يقوده موسى وتشارك جميع الشخصيات في إنجاحه.[76] إعادة بعث الإنسان من جديد، هذا الإنسان الذي يستطيع أن يهتدي ببصيرته إلى ربّه وخالقه (كما حدث مع موسى)،

المجلد: (18)	العدد: (03)	السنة: 2026	صفحات المقال: 563–582	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

فيكون ذلك مصدر اطمئنان وسكينة للمخلوق، إلاّ من طغى، فهذا جلالته يتوجّس مرتعبا: «كأن الله الذي عبدته الشعوب الأولى عاد ينتقم من جلالته، رافضا الاستعباد والاسترقاق».[77]

وهكذا ينجح أولئك القليلون، من خلال إيمانهم، في استنهاض كلّ أولئك المنبوذين (سنعمد على تجنيد المنبوذين في كلّ مكان–نجمعهم–ننظمهم– استعدادا للانطلاقة الكبرى).[78] وتحطيم الأغلال التي فرضها "الأب الأعظم" عليهم، وعلى البشرية كلّها من خلال تعطيل وظيفة "العقل الأكبر" وتحوير هان فتنقل صوت موسى وصدقه إلى البشرية، بعدل جلالته.

فلا يمكن لعقل الآلة أن يفوق عقل الإنسان الذي أنشأها وأعدّها، ولا يمكن للعولمة والمدنية والحضارة أن «تستقيم إلاّ على مبدأ التكافؤ بين العلم والقيم».[79] و«الإنسان لا يمكنه الاستغناء عن نوع من الإيمان الديني، وهذه دعوة إلى التخلّي عن تفسير الحياة من وجهة نظر مادية–غريزية».[80]

فالرّواية من جهة تنطق بالإدانة الشّاملة لكلّ مظاهر الاستعباد والهيمنة، بداية من إدانة ورفض تسلّط الحياة المادية على الإنسان المعاصر، إلى إدانة كلّ الإيديولوجيات التي عمل في الخفاء لأجل استمرار الهيمنة وفعل التطويق خدمة لمصالحها وأهدافها في امتلاك مستقبل البشرية.

ومن جهة أخرى تعمل على تعزيز حضور الذات، من خلال أفعال التفكيك والمقاومة الموجّهة ضد «بني السيطرة في ثقافة [الآخر]، وفي سردياته المتمركزة حول الذات والتاريخ والهوية».[81]

4. خاتمة:

إنّ رواية "جلالته الأب الأعظم" لحبيب مونسي، ومن خلال استخدامها لشكل الرّواية – هذا الشكل الإمبريالي–، وفي انتهاجها لأسلوب الخيال العلمي (هذا الأسلوب الغربي)(*)، تستحوذ** على قوالب الكتابة الإمبريالية، لتؤسس لنوع من السرد المضاد الذي يقاوم فعل الصمت الذي تحاول مختلف القوى الامبريالية في العالم فرضه على "العقل و/الصوت و/ الحرف" العربي.

أما من حيث المضمون فان الرواية تستثمر مقومات الهوية الذاتية من إرث حضاري و/ ثقافي و/ ديني ولغوي كذلك، لتفكّك خطاب الهيمنة الغربية، الذي يجعل من منجزات العقل المادية سبيلا للرقيّ الحضاري والمدنية، ويجعل من "انتكاسة" "ذات الإنسان" و"ذات العربي تحديدا" انتكاسة أبدية، تجعله غير قابل للنهوض، وهي الرسالة التي توجهها الرواية للذات قبل الآخر، بمعنى أن "حبيب مونسي" يريد أن يضيء للإنسان العربي حقيقة ذاته، ومن جهة أخرى، أن يكشف له المؤامرات التي تحاك ضده، وهي غالبا نابعة من إحساس بالخوف، وليست نابعة من موقع قوة كما يروج له في خطاب الآخر.

المجلد: (18)	العدد: (03)	السنة: 2026	صفحات المقال: 563–582	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

5.الهوامش:

[1] رحال عبد الواحد، (2020)، الرؤية الإسلامية في رواية "جلالته الأب الأعظم لحبيب مونسي: قراءة في المتمثل والمحمول"، مجلة علوم اللّغة العربية وآدابها، المجلد 12، عدد01، ص55.

[2] حبيب مونسي، جلالته الأب الأعظم: الخطر الآتي من المستقبل، (2014)، دار ميم للنشر، الجزائر، ط2، ص7.

[3] المصدر نفسه، ص11، 12.

[4] المصدر نفسه، ص13.

[5] المصدر نفسه ص19، 20.

[6] المصدر نفسه، ص38.

[7] المصدر نفسه، ص16.

[8] إدريس الخضراوي، (2014)، السّرد موضوعا للدراسات الثقافية: نحو فهم لعلاقة الرّواية بجدلية السيطرة والمقاومة الثقافية، مجلة تيسير للدراسات الفكرية والثقافية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، العدد 6/7، ص107.

[9] إدوارد سعيد، الاستشراق: المعرفة، السلطة، الإنشاء،(1981)، تر: كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، لبنـــان، ط1، ص218.

[10] المرجع نفسه، ن ص.

[11] المرجع نفسه، ص215.

[12] حبيب مونسي، جلالته الأب الأعظم، ص14.

[13] المصدر نفسه، ص21.

[14] المصدر نفسه، ص26.

[15] سعد البازعي، ميجان الرويلي، دليل النّاقد الأدبي: إضاءة لأكثر من سبعيني تيارا ومصطلحًا نقديا معاصرًا، (2002)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، بيروت، لبنان، ط3، ص62، 63.

[16] حبيب مونسي، جلالته الأب الأعظم، ص39، 40.

[17] المصدر نفسه، ص40.

[18] المصدر نفسه، ص42.

[19] المصدر نفسه، ص 43.

[20] المصدر نفسه، ن ص.

[21] المصدر نفسه ، ص39، 40.

[22] المصدر نفسه، ص 46، 49.

[23] أبو يونس عمر الطيب، انهزامية العقل في تحديثه للنقل في رواية الأب الأعظم، للكاتب الدكتور حبيب مونسي، مجلة كتـــاب الغربة، مؤسسة الغربة الإعلامية، سيدني، أستراليا: https://kattabouna.logogopot.com .

[24] المرجع نفسه.

[25] حبيب مونسي، جلالته الأب الأعظم، ص54-55.

المجلد: (18) | العدد: (03) | السنة: 2026 | صفحات المقال: 563–582 | ISSN :9577 - 1112 | EISSN : 2602 -5388

[26] المصدر نفسه، ص56.

[27] المصدر نفسه، ن ص.

[28] إياد خلف الله، إستراتيجية القوة الناعمة ودورها في تنفيذ أهداف السياسة الخارجية الأمريكية في المنطقة العربيـــة، (2016)، رسالة ماجستير في العلوم السياسية، جامعة الشرق الأوسط، ص12.

[29] ينظر: المرجع نفسه، ن ص.

[*] إحدى الشخصيات الرئيسية في الرواية.

[30] حبيب مونسي، جلالته الأب الأعظم، ص74.

[31] ينظر مثلا: مقال: ماذا تعني حكومات العالم الخفية، على موقع الجزيرة نات.https://www.aljazeera.net.07/07/2016.

[32] بيل أشكروفت، غاريت غريفيت، هيليي تيفن، الرّد بالكتابة: النّظرية والتطبيق في آداب المستعمرات القديمة، (2006)، تـــر: شهرت العالم، المنظمة العربية للترجمة، الحمراء، بيروت، ط1، مارس ص16.

[33] مديحة عتيق، (2005)، ما بعد الكولونيالية: مفهومها، أعلامها، طموحاتها، مجلة دراسات وأبحاث، جامعة زيـــان عاشـــور، الجلفة، الجزائر، مجلد 7، ع 18، ص 238.

[34] المرجع نفسه، ص239.

[35] ينظر كتاب: بيل أسكروفيت، فاريت غريغيث، هيلين تيفن، الرد بالكتابة، ص 23، 24.

[36] سعد محمد رحيم، أدب ما بعد الكولونيالية؛ الرؤية المختلفة والسّرد المضاد، مؤسســـة الحـــوار المتمـــدّن، عـــدد 1303- 2005/08/31: https://www.ahwar.org .

[37] المرجع نفسه.

[38] بيل أشكروفت، جاريت جريفيث وهيلين تيفين، دراسات ما بعد الكولونيالية: المفاهيم الرئيسية، (2010)، تر: أحمد الروبي، أيمن حلمي وعاطف عثمان، المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر، ط1، ص120.

[39] المرجع نفسه، ص121.

[40] سعد محمد رحيم، أدب ما بعد الكولونيالية، الرؤية المختلفة والسّرد المضاد: https://www.ahwar.ogr2005/08/31 .

[41] إدوارد سعيد، الثقافة والإمبريالية، تر: كمال أبو ديب، (2004)، دار الآداب، بيروت، لبنان، ط3، ص17.

[42] إدريس الخضراوي، (2014)، السّرد موضوعا للدراسات الثقافية: هو فهم العلاقة للرواية بجدلية السيطرة والمقاومة الثقافيـــة، مجلة تبيين للدراسات الفكرية الثقافية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، مجلد 2، العدد 7، ص108.

[43] سعد البازعي، ميجان الرّويلي، دليل الناقد الأدبي، ص21.

[44] إدريس الخضراوي، السّرد موضوعا للدراسات الثقافية، ص115.

[45] حبيب مونسي، جلالته الأب الأعظم، ص59.

[46] المصدر نفسه، ص 58.

[47] المصدر نفسه، ص42.

[48] المصدر نفسه، ص60.

[49] المصدر نفسه، ص 128.

المجلد: (18) | العدد: (03) | السنة: 2026 | صفحات المقال: 563–582 | ISSN :9577 - 1112 | EISSN : 2602 -5388

[50] المصدر نفسه، ص58.

[51] المصدر نفسه، ص 82.

[52] المصدر نفسه، ص 80.

[53] المصدر نفسه، ص86.

[54] المصدر نفسه، ص93، 94.

[55] المصدر نفسه، ص 65.

[56] إدريس الخضراوي، السرد موضوعا للدراسات الثقافية، ص 124.

[57] حبيب مونسي، جلالته الأب الأعظم، ص 50.

[*] هذه الفكرة هي التي حاولت رواية "شفرة دافينشي" للروائي اليهودي "دان براون" تكريسها وإثباتها عبر أحداثها المتعاقبة وصفحاتها الممتدة.

[58] حبيب مونسي، جلالته الأب الأعظم، ص122.

[59] المصدر نفسه، ص140.

[60] المصدر نفسه، ص52.

[61] المصدر نفسه، ص57.

[62] المصدر نفسه، ص57.

[63] المصدر نفسه، ص75.

[*] ينظر: رحال عبد الواحد: الرؤية الإسلامية في رواية "جلالته الأب الأعظم"ص66، أبو يونس معروفي عمر الطيب: انهزامية العقل في تحديه للنقل في رواية "الأب الأعظم" للكتاب حبيب مونسي، مجلة كتابنا، مؤسسة الغربة الإعلامية، سيدني-أستراليا:
. https://kouttabouna-blogspot.com

[*] جاء في رواية "شقرة دافينشي"، قول أحد الشخصيات: "جدّ صوفي هو المعلم الأكبر في اخولة سيون"، دان براون، شفرة دافيتشي، تر: بسمة محمد عبد ربه، (2004)، الدار العربية للعلوم، بيروت، لبنان، ط1، ص 248.

[64] أبو يونس معروفي عمر الطيب: انهزامية العقل في تحديه للنقل في رواية "الأب الأعظم":
https://kouttabouna.blogspot.com .

[65] دان براون، شفرة دافنشي، تر: سمة محمد عبد ربه، ص259.

[*] جاء في رواية "شفرة دافنشي":"شعرت صوفي بقشعريرة تسري في جسدها"هل كان دافيتش يتكلّم عن الانجيل". المرجع نفسه، ن.ص.

[66] رحال عبد الواحد: الرؤية الإسلامية في رواية "جلالته الأب الأعظم"، ص 44.

[67] إدريس الخضراوي: السرد موضوعا للدراسات الثقافية، ص 105.

[68] المرجع نفسه، ص 114.

[69] حبيب مونسي، جلالته الأب الأعظم، ص 163.

[70] المصدر نفسه، ص 61.

[71] المصدر نفسه، ص 109.

المجلد: (18) | العدد: (03) | السنة: 2026 | صفحات المقال: 563–582 | ISSN :9577 - 1112 | EISSN : 2602 -5388

[72] المصدر نفسه، ص 166.

[73] المصدر نفسه، ص 180.

[74] المصدر نفسه، ص 99.

[75] المصدر نفسه، ص 102-106.

[76] المصدر نفسه، ص 183.

[77] المصدر نفسه، ص 232.

[78] المصدر نفسه، ص 172.

[79] رحال عبد الواحد، الرؤية الإسلامية في رواية "جلالته الأب الأعظم، ص46.

[80] المرجع نفسه، ص 43.

[81] إدريس الخضراوي، السّرد موضوعًا للدّراسات الثقافية، ص229.

(*) يشير الباحث "محمد عبد الله الياسني" إلى هذه القضية قائلا: «على الرغم من اجتهاد النقاد في العمل على تأصيل أدب الخيال العلمي، وعلى الرغم من وجود إرهاصات حقيقية لهذا الأدب في تراثنا العربي، فإنّ سيرورة تلك الأعمال قد انقطعت عن أدبنا في مرحلة من مراحل الأدب المتأخرة (...) أما أدب الخيال العلمي بصيغته الحديثة فقد دخل أدبنا العربي (...) بتأثير من الأدب الغربي...» محمد عبد الله الياسين، الخيال العلمي في الأدب العربي..، ص 82.

** يستخدم مصطلح الاستحواذ « لوصف الطرق التي من خلالها تستحوذ مجتمعات ما بعد الكولونيالية على تلك المظاهر الخاصة بثقافة القوة الإمبريالية ولغتها وقوالب الكتابة لديها (...) من أجل التعبير عن خبرات ثقافية متباينة على نحوٍ واسع...» بيل أشكروفت وآخران، دراسات مابعد الكولونيالية...، ص 69-70.

6. المصادر والمراجع:

1. رحال عبد الواحد، (2020)، الرؤية الإسلامية في رواية "جلالته الأب الأعظم لحبيب مونسي: قراءة في المتمثل والمحمول"، مجلة علوم اللّغة العربية وآدابها، المجلد 12، عدد 01.

2. حبيب مونسي، (2014)، جلالته الأب الأعظم: الخطر الآتي من المستقبل، دار ميم للنشر، الجزائر، ط2.

3. إدريس الخضراوي، (2014)السّرد موضوعا للدراسات الثقافية: نحو فهم لعلاقة الرّواية بجدلية السيطرة والمقاومة الثقافية، مجلة تيسير للدراسات الفكرية والثقافية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، العدد6/7.

4. إدوارد سعيد، (1981)، الاستشراق: المعرفة، السلطة، الإنشاء، تر: كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، لبنان، ط1.

5. سعد البازعي، ميجان الرويلي،(2002)، دليل النّاقد الأدبي: إضاءة لأكثر من سبعيني تيارا ومصطلحًا نقديا معاصرًا، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، بيروت، لبنان، ط3.

المجلد: (18)	العدد: (03)	السنة: 2026	صفحات المقال: 563–582	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

6. إياد خلف الله،(2016)، استراتيجية القوة الناعمة ودورها في تنفيذ أهداف السياسة الخارجية الأمريكية في المنطقة العربية، رسالة ماجستير في العلوم السياسية، جامعة الشرق الأوسط.

7. بيل أشكروفت، غاريت غريفيت، هيليبي تيفن، (2006) ، الرّد بالكتابة: النّظرية والتطبيق في آداب المستعمرات القديمة، تر: شهرت العالم، المنظمة العربية للترجمة، الحمراء، بيروت، ط1.

8. مديحة عتيق،(2015)، ما بعد الكولونيالية: مفهومها، أعلامها، طموحاتها، مجلة دراسات وأبحاث، جامعة زيان عاشور، الجلفة، الجزائر، مجلد 7، ع 18.

9. بيل أشكروفت، جاريت جريفيث وهيلين تيفين،(2010)، دراسات ما بعد الكولونيالية: المفاهيم الرئيسية، تر: أحمد الروبي، أيمن حلمي وعاطف عثمان،المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر، ط1.

10. إدوارد سعيد، (2004)، الثقافة والإمبريالية، تر: كمال أبو ديب، دار الآداب، بيروت، لبنان، ط3.

11. إدريس الخضراوي، (2014)، السّرد موضوعا للدراسات الثقافية: هو فهم العلاقة للرواية بجدلية السيطرة والمقاومة الثقافية، مجلة تبيين للدراسات الفكرية الثقافية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات،مجلد2، العدد7.

12. دان براون، (2004)، شفرة دافيتشي، تر: بسمة محمد عبد ربه، الدار العربية للعلوم، بيروت، لبنان، ط1،

13. https://kattabouna.logogopot.com
14. https://www.aljazeera.net.07/07/2016
15. https://www.ahwar.org
16. https://www.ahwar.ogr2005/08/31
17. https://kouttabouna-blogspot.com.
18. https://kouttabouma.blogspot.com